

مفتاح العمّاري

# جنازة باذخة

شعر

جنازة باذخة  
المؤلف : مفتاح العمّاري  
الطبعة الأولى / 3000 نسخة  
منشورات مجلة المؤتمر.

---

رقم الإيداع 14282 / 2002  
حقوق الطبعة الأولى محفوظة لمجلة المؤتمر.

---

تصميم الغلاف:  
حامد العويضي.

لوحة الغلاف:  
تفصيل من لوحة " استحضار "  
للغنان، بابلو بيكاسو.

## عناوين خجولة

الشتاءُ يحملُ معاطفه ويغادر بلا جدوى.  
أصابعك باردة وزرقاء.  
عيناك تخبئان الوجعَ الذي يمزق أحشاء القصيدة،  
وتقترحان ألعاباً ل " أحمد "  
كأن الشرفة لم تعد صالحة لقهوتنا  
وعصافير المطر.  
علبُ الدواءِ وحدها تنمو حول سريرك  
بأسماء أليفة  
فصرنا نحفظُ مواعيد ال One alba  
و calcium carbonate .

\*\*\*

الشتاء يغادر بلا جدوى  
وأقمارٌ ضحكتكِ تذبذب.  
أنتِ الخفّةُ التي تحملُ ثقلنا.  
يداكِ ربيعُ الضيف  
وقلبكِ وطنُ الشاعرِ ورحلته الآمنة.

\*\*\*

كنتِ قبل أن يجفّ ضوءُ اللغات  
تغيّرين وجهةَ الزواجع،  
وتبدّلين صوتَ المساء الذي  
يزحف على حقولنا البريئة،  
بكائناتٍ ثرثارةٍ وزوّارٍ تائهين.  
تحمليين حقائقَ الوجد  
إلى مدنٍ لم توجد.  
وتقترحين لكلّ منعطفٍ بريدَ مطر  
وشجرة عاشقة.

\*\*\*

أحيانًا تجلسينَ وحيدة  
تحت شجرة الزيتون،  
التي نسميها ربّة ظلّ  
وتنتظرين عودة الصغار  
وهم يحملون الحدايق  
في حقائبهم المدرسية.

\*\*\*

إيه يا زوجتي  
يا بلادي الطيبة  
التي وجهها فاكهة طرية  
تستدرجُ بلاغةَ الموسيقى  
كأن الخرائط  
لم تعد تسع إيواء المعنى  
تقف خجولة أمام رغبتكِ  
وهي تعود خائبة بلا مفاتيح،  
أو عناوين سخية لزراعة الضحك  
لكن لا بأس؛

طالما الكلمة الوحيدة  
التي يبحث عنها الأنبياء  
تستيقظ هنا؛  
في هذه القرية  
التي تُسمّى الرملة مجازًا.  
في هذا المنزل الريفيّ الخجول،  
في هذه الغرفة الصغيرة  
ثمة سماء تنمو .

()

## \_\_\_\_\_ جنازة باذخة

حكايةٌ مَنْ هذه السادرَةُ في نَهْبِها،  
القوافي دوائرُ ياقوت  
وهي الجسد.  
فكيف أزيحُ الغبارَ  
وأرفو اليقينَ شقيقَ الكذب،  
وصخبكَ يحجبُ الشمسَ  
أيها المتنبي.  
كأنكَ الأبدُ  
وما تبقى زبدُ .

\*\*

حكاية مَنْ هذه التائهة موشومة بالأجراس  
تخسرُ السفرَ والمواعيد.  
والقمرُ الوحيدُ يؤبِّدُ النظرَ  
بقبضةٍ مفتوحةٍ على غدرِ الأمهاتِ،  
واثقًا أن البلاغةَ غربالُ الريح.

\*\*

إذن سأنتظرُ القطارَ الكهلَ  
وهو يطحنُ بصغيره زجاجَ ألعابنا.  
والكائناتُ البريئةُ تهتفُ عبر نوافذ  
راكضة ترشق المساربَ بالأحلام.  
وإن يَكُنْ وَقْفِي بَلَا ظِلِّ وَمَاءٍ  
ولا شيءٍ الآن باسمي يُسمَّى  
سيظلُّ كلُّ ذنبٍ تاهَ في لغتي  
كَنَزِ عُوَاءٍ .

\*\*

لستُ شيئًا  
غير أنني أرى الرملَ يعتلي ظهرَ المشيئةِ  
ويغتصبُ الجهاتِ.  
وأرى الشوارعَ  
حفلةً صيد.  
أنا العديءُ في جسدي.  
ترتعدُ عناصرُ الجاراتِ تحتَ أغطيتي  
ويقرعُ الشتاءُ أبوابي،  
ولا أحدٌ يأتي.  
وأنا البعيدُ في لغتي  
حين بدأت الحربُ أخطأني حظوظُ الصبايا  
يقينًا أنني جربتُ الحمام  
وطيَّرتُ الرسائلَ والحدائقَ والقُبُل.  
لكنهم صنعوا الأسوار  
وجلبوا البنادقَ والنياشين  
وصور النساءَ الغمَّازاتِ.  
ونحن الصغار لم نشتر بعدُ  
لوازمَ الرحيلِ إلى البلد  
لكي نطوي الرملَ الكفيفَ خلفنا.

\*\*

حكاية مَنْ؛ هذه الضالةُ  
تبحثُ عن صبيّ ضيعته الأمهات.  
جميعهنّ حفرنَ وشمه  
أمّهاتٌ من سلالَةِ القطط  
تجمعهنّ فمّ باذخةٌ بالمُوءاء  
أمهاتٌ بلا أحد  
سوى أن الحروبَ الصغيرةَ  
تقودُ الخيالَ إلى مهبّ جامحٍ  
ولا أحد يأتي.

\*\*

ستعلو فوق صوتي، قال الغرابُ :  
أبواقُ النغير،  
ويحبسني لوني في العلوّ  
بعيدًا عن أبي أمحو جلالَةَ الألم  
وأضعُ فراخي.

أنا الغرابُ المستجير.  
تقفُ الجيوشُ بأعلامها لداميةٍ تحت أجنحتي،  
ويحتم السعير.  
محتفلاً بسمائي والقوانين التي يسهل خرقها،  
أحرسُ الولائم بأقفال لا يعبرها الضوءُ  
متأهباً لإيقاظ المعادن،  
أخطفُ النساءَ من معازلِ النثرِ،  
وأطير.

\*\*

لماذا أيُّها الحفاة تتبعون سنّة الوهم،  
تحزمون الصحراء الشائخة تحت ظلالكم الجريحة  
صوب المحطات البعيدة.  
وتنتظرون هبة الحواس  
وهي تصعد الوسائدَ  
التي يفلت ريشُ أحلامها عبر الشرفات  
ليهب الحبُّ للتائهين.

والنوافيرُ قبعاتٌ تهطلُّ بالألوان  
والعشاقُ دوائرٌ، يسيِّجون مهابةَ النظر  
ويحيطون اللغات،  
بصمت اللغات.

\*\*

حكايةٌ من هذه الدائخة بتواريخها الخاسرة  
والجندي التائه، تائها يقطر بلاغته النازفة:  
- أعطوني اللغةَ السمراء الهابطة بالغنائم  
يحرسها الإعجاز الأصيل.  
أعطوني صفةَ الضوءِ وكلامَ الرسل  
لأحلق بفخامة  
غير ملتفت لقميصي  
وقد فخخته النجوم  
سأعتقُ السفنَ وأخلطُ الأسماءَ والعناوين  
ليتوه الخلقُ في معرفة المفاتيح والساعاتِ وأشكال  
الكواكب  
والخيول.

دعوني أسمّي الوطنَ الثقيلَ طفلاً قتيلاً،  
يجاورُ التيه، واسمّي الأحلام بنوافذها المأهولة بالغرقى.  
أعطوني الذئبةَ شقيقةَ اللعب،  
معلّمتي الضحكَ ونحن نعبر الغاياتِ ملتبسة  
بظلالِ الأمهات والأبناء الملدوغين  
بهزائم النظر،  
واعدين المستحيل بجنازةٍ باذخة.  
أعطوني الأميرةَ حاميةَ المباهج  
التي قصائدي حصانها إلى  
طروادة الروح  
وبلاغة الجسد.  
وإن يكن وقفي بلا ظلّ وماء  
ولا شيء الآن باسمي يسمّي  
سيظلّ كلّ ذئب تاه في لغتي  
كنزَ عُواء.

( )

## \_\_\_\_\_ مشيئة الوعل

منذ زمن قديم؛  
عندما لم يكن هناك شيء بعد  
أسمه وطن  
كنتِ المرأة الوحيدة  
التي تهبُّ الشاعرَ  
الكلمةَ النادرةَ  
وتمنحه الحجرَ الغريبَ  
الذي توّه الفلاسفة،  
والقمرَ الجديرَ بالأعيادِ والسفرِ.  
كنتِ المرأةَ الوحيدة التي يُقال  
رحلَةُ العاشقِ في كهولته.  
فأعطيتُ أجنحتكِ بلاغةَ العلوِّ  
والحلمَ السخيِّ الذي يُوصفُ:  
حظُّ القبائلِ الثريةِ وغنائمُ الصيدِ،  
وهبةُ اللونِ الضائعِ  
ومشيئةِ الوعلِ.

لكن نظرتك قد أنكرت طقسها  
ولم تعد تحفل  
بسمو الطائر .  
كل شيء فيك صار يبدد نفسه  
حتى أصابعك الطيبة،  
التي كانت منذ قليل تحرّك الضوء والألوان  
وتعقد العطر والعسل  
صارت شقيقة حجر  
ووجهك الطفل تغير ماؤه  
ولم يعد بيننا رسائل أو مواعيد  
أو مطر لكي نأخذ المدينة في حقائبنا،  
ونطرد الكبار من ألعابنا.  
هكذا مضى كل شيء  
دونما حكايات خجولة.  
كأننا خسرنا بعضنا  
ولم يعد بيننا ما ينتظر .

()

## \_\_\_\_\_ رسائل لا تصل

في هذا الظلام  
الذي يطرد النساء والعصافير،  
والأصدقاء ضفاف تنأى؛  
تذكرتك أيتها المهاجرة بنوافذها،  
وألوانها الصاخبة.  
الكلمات تنسحب إلى خنادق النثر،  
والمشاعل أقواس تهطل  
بالكائنات النشيطة  
من حشرات الصيف،  
وأصابعي رسائل لاتصل.

ها أني أدفن رفات اللغة العاطلة  
وأقتفي أجراسك الذكية  
وهي تتكسر في عذوبة السفر،  
لتأخذ الحدائق والشوارع والظلال.

كأن الطريق إليك معجزة الأنبياء.  
أنت التي وجهها حلم يتناسل،  
وعناوينها هاربة بأشرعة تلبس الأفق،  
وشعرها يستعير هيئة مطر بعيد.  
لذا يا أمي الكبيرة  
سأقرأ الآيات الحارسة  
وأجمع زيتون الموسم،  
وما يكفي من اللجوء إلى بيتي  
ومن الهدوء ما يصلح لتكفين صخب الموتى.  
وأكوّم الأيامَ برتابتها الجريحة  
وأضعُ السماءَ  
فوق سهيلِ خيولها الطائفة.  
سأروّض المخلوقات الخمسة  
داخل خرم الابرّة  
حيث تمرّ قوافل الصوف  
وقطعان الرعاة التائهيين ..  
فعبرُ ثقب صغير كهذا  
أمرّ الشمس  
نحو صباحات لا تُرى .

()

## \_\_\_\_\_ جزيرة ضائعة

المرأةُ الكبيرة  
عادت من بعيد.  
وجهها الذي يُقال:  
ربيعٌ طازجٌ<sup>١٦</sup>  
بدا تائهاً بلا نجوم.  
رايناها وهي تقبل مثل جزيرة ضائعة.  
وسمعنا استغاثتها الدامية  
تمزق الحواس.

عند الصباح  
وجدنا مدينة أخرى  
نصفها غابة  
ونصفها الآخر لا يرى.

عادت بصنف جديد من الموسيقى،  
والسجائر والرؤى.  
فلم نعرف صوتها المحطّم  
وعطرها الذي كان متوحشًا  
وشعرها الملون بالمرافئ الغريبة.  
فوقفنا مرتبكين نتنفس خوفنا.  
لا ندري كيف ندخل الشوارع  
التي تقلنا بلا رافة  
إلى ضفاف عجيبة؛  
لأن المرأة الكبيرة،  
أطلقت صوب فخاخنا  
أسراب طيورها الدائخة،  
طيورها التي يقال:  
رغبة السفر.

لكن لا ماء يبلى صفة الرمل،  
التي كما نرى؛  
صفة امرأة لا تكتمل،  
صفة الليل  
وبهاء القمر،  
ودم الحكايات الغربية.

()

## \_\_\_\_\_ خطاب الأرض الوعرة

لأتني من نسغ الأرضِ الوعرة  
أبي خطاب أحلام  
وأمي نسّاجة وعد  
وولادة مغزى؛  
لن انوي الهجرة  
الى لغة أخرى،  
لأطير مثل رماد مخدوع  
تتخاطفه طواحينُ هواء  
فوق بروج من دخان  
مغمورا بمباهج وهم  
وثرثرة نزوات نزقة.

ومهما تشرّدتُ لغتي  
لن تأفل أغنيتي  
عن سماء منازلنا  
ومزارع الفتنا.  
ومهما أخطأت أمّي  
لن أنشر غسيل أيامي  
على جبل جارتنا.  
وستظلّ أمّي رغم جراحي النازفة  
تتربّع على عرش مخيلتي،  
كما لو أنّها ملكة.

ورغم لدغة الزمان الوضيع  
سأظلّ كل صباح  
أشرب من قهوتها المرة.  
ومهما يكن،  
سابقى هما  
فوق هذه الأرض الوعرة  
أضرب فأسّي قويا،  
أقتلّع الأشعارَ من عروقِ حجارتهَا

أمنحها مِن رُوحِي وهجَ الروح  
ومن قلبي  
أهبها أجنحةَ الجدوى.

هنا سَاعَتُكُ خمرَةَ حدسي  
وأشربُ كأسِي  
فيسكرُ قمري  
ويرقصُ ظلُّ جلاسي.  
وحين تسهو أذنُ الليل  
أسبرُ غورِ جدراني،  
وأغافلُ غفوةَ حراسي  
وأدقُّ أوتادي عميقًا  
في كبدِ المعنى؛  
فتهتزُّ عروشُ الكواكبِ  
وتسقطُ قبعاتُ النجوم  
وتطلقُ الشمسُ في حقولِ قصائدي  
قطعانَ خيولها المرحة.

ولأني جندِي  
تحمله خفة عيونٍ كحلتها التجاربُ  
بلون مغازات عطشى،  
بلون ساعاتِ رملٍ  
مكسورةٍ بهزائمٍ شتّى.  
بلون مطرٍ من غربانٍ،  
وأصداءٍ جيفٍ تأكلها هبةُ السّهو  
بلون هتافٍ جماعيٍ لغابات القتلة.  
مهما يكن؛  
لن اهجر عشّ أطفالِي،  
وخلوةَ الظلِّ الفقير  
وكرمةَ الندى.

سأبقى هنا  
حدّ الوارفةٍ مثل نافورةٍ من هداهدِ حكمة،  
تصدحُ بندااءِ التمرِ  
توأم النّحاسِ الأصيل،  
أظفرُ المديحِ للأنثى  
أميرةَ الشجرِ.  
محرّضًا معرفتي أن تأخذَ عراجينَ الكشفِ  
وتكنسُ أوساخِ الحوأةِ  
وشباكِ العنكبوتِ  
لتتعرّى العوراتِ  
وتسقطِ اوراقِ التوتِ.  
أواه ما أجمل هذا الموتِ  
حين تكون القبضة ظافرةً بالطيرِ  
وعصيرِ الأسرارِ  
وتصبحُ أروقةُ الشعرِ  
ثريةً بالرؤى  
ومناجمِ الملح والآبارِ .

حين تخمدُ في عجينةِ الطين  
جمرةٌ يدي  
وأموثُ هُنا  
وتبقى كأسى مترعة بالنشيد  
وكلماتي أسراب غيوم،  
ترعى فوق الأرض الوعرة.

()

## \_\_\_\_\_ مسافة العطر

كأسٌ لكى نتقى البياضَ الغبيّ  
كأسٌ، والشفاهُ معاقلُ صيد  
هى حمالةُ أختامٍ ومجازِ ورؤى،  
بُخارُها نعيمُ الناسك  
وقبلتها مسافةُ التائهين

\*\*

كأسٌ لكى نتقى البياضَ الغبيّ  
كأسٌ للفتى الذى يقترفُ سماءَ الغرف.  
وللكهل البهيمى، صديق المنجنيق.  
وكأسٌ للجندي  
الذى عاد من بلاد النهب والغزوات.

كأسٌ نعلّمها الطوافَ بين اللغات  
أصابعنا محطاتها الساهرة.  
وللشيخ صاحب المسارب التي تستدرج  
الخائبين.

\*\*

كأسٌ، والشفاهُ معاقلُ صيد.  
هكذا؛  
للأمهات نطيّر النجوم  
ونسردُ جهاتنا الضائعة.

\*\*

كأسٌ تدورُ بيننا  
كوكبٌ خيالٍ نحمّلها القصائدَ  
والأنهارَ والمدن  
ونهبها ثلجاً إذا شئنا،

وإذا تهنا يدلّنا الساقى علينا  
بدورةٍ أخرى،  
وأخرى تجاوزُ التيه،  
لكي نتقي البياضَ الغبي.

\*\*

فأقترب أيها الرائي  
وخذُ خيطاً من الماء  
وخيطاً من قلبك الدامي  
فهى قمرٌ سقطت فضته عليك.

خذها أيها الرائي  
وأطلقُ أسماءنا في زرقة الليل  
حرّةً مثل وحوشٍ ٍ تفتحُ بساتين خالقها  
خذها .....  
فأنت نبيّ.

## \_\_\_\_\_ نَامَ الشاعِرُ هُنَا

مختلف أنت أيها النظيف  
الذي عيناه خجل مقذوف في سماء القرى.  
المكابذ العفيف،  
الذي يحزم أوراق شعره قبل حقيبتة.  
مختلف أنت، حتى في رحيلك.  
أيها الرائي  
وحدك تباغت الموت في عقر داره  
مهملاً السفر إلى كاركاس،  
لتفتح ممرات أخرى للسرّ  
وتخصب قامة العلوّ  
تاركاً القصيدة التي تختزل الحياة  
في كلمة واحدة.

\*\*

أيّ عنف هذا الذي تصنعه القصيدة  
لكي يقترح الشاعرُ قبره وطنًا أخيرًا  
وبهدوءٍ غامضٍ لا يُرى  
يكشف البرزخَ الذي حيرَ الفلاسفة  
وتوّه الشعراء  
ثم وحيدًا  
ينتخبُ الموتَ الذي يشاء.

\*\*

أخيرا يا أمّه  
نام الشاعرُ هنا  
وحيدًا في صخب الصيف،  
والشمس تدمي  
على سهوب (الرجبان)\*  
بهدوءٍ لا يرى  
نام الشاعر في حزن قصيدته  
ففقد النمل صلابه حكمته  
والظلُّ بكي.

مات الصوفيُّ  
العاشقُ الرائيَّ  
والكهْلُ المشاء  
الذي يطوي المدن في دقاته  
ويغيّر الأسماء  
لكنه ماذا رأى  
حتى منح للموت صفة الشعر  
وضوّع القبر بمسك براءته  
ووهب لمهابة نومه  
كُلّ هذا البهاء.  
( )

---

\* (الرجبان) من بلدات الجبل الغربي في ليبيا.

## \_\_\_\_\_ وصية

مشغول بك يا طرابلس  
أعطيكِ الكلمةَ الفتية  
التي تتمزق وتنحرف عن مدارات المعاجم  
التي عين الشك،  
وفم شجرة تقطع،  
وقبضة العاصفة.

\*\*

مشغول بك  
أترك لك اللمعان قوياً كالصراخ  
بين صمت الصحراء الأبيض،  
الأبيض الكثيف.  
والماء عرشك الدائم،  
والكتابُ سيف.

أترك القصيدة مأهولة بك  
بأحلامك وهي تنمو بصلابة الحليب  
بأصابعك: نساجة ألفة،  
وخزافة متع.

\*\*

لك يا هبة الله  
أضيف فمي حارًا  
وغائبًا أضيف ملحًا للشوارع  
وأعطيك الملامح السخية التي يرسمها طفل،  
ظله ماء يطوق نظر المسافات،  
ويمشي بين البساتين خجولا.

\*\*

مشغول بك  
أتركُ خرائط رثتي  
وشبابيك هذا الصهيل الأخير  
أتركُ أطفالي،  
الذين ولدوا على بلاطك البارد، أمانة في عنقك  
أتركُ أصدقائي، يمارسون الضلالة  
بين الكتب.  
اتركُ القمرَ يدمي  
بالحكايات،  
وأذهب.

()

## \_\_\_\_\_ ليلة القدر

في ليلةٍ كهذه  
مقيمة أنت بلا زمن،  
ما من أحد يجرؤ على إيقاظك.  
وحيدة ترشقين السماء  
بالامنيات الجارحة.  
وتصرخين: خذ صدري أيها الشاعر.  
في ليلة كهذه،  
وحيدة تهطلُ نجومك  
مسارب كحل،  
تنحدرُ على كتفِ عاشقٍ غامض،  
يكدّسُ في حقولك نساء أخريات  
أقلّ منك جمالا،  
وأصغر من أطفالك الأنبياء.  
في ليلة كهذه  
يبعث الخيال لأجلك

ولأجلك يستيقظ الطائر الكهل  
من عشّ القصيدة.  
ويهبك الشاعر رئةً أخرى.  
ولأجلك يبتكر الأرض الجديدة  
والمطر والخيول.

()

## \_\_\_\_\_ الرجال السود

الرجالُ السود  
يصفرون أثناء العمل  
ويغنون أحيانًا في الليل  
تحت الضؤ الملوث  
بدخان السجائر  
والحشرات الطائرة  
عيونهم حمراء وجريئة  
ونحن الصغار  
آذنا قبل النوم  
تحدث ضجة قرب الباب  
وخلف النوافذ المظلمة

حيث تصعد الأحذية القاسية  
وتعوي أغصان الزيتون  
وينهمر المطر.  
وشيء ما يسقط قريباً.  
قالت أمي:  
التي لم تكن أرملة بعد  
لكنها كانت وحيدة.  
دائمًا تترقب ضيفًا مجهولاً  
كأنها محطة ضائعة.  
والرجال السود  
يشربون الشاي اثنى العمل  
أصابهم القاسية داخل عجينة الاسمنت  
يتحركون مثل فكرة غامضة.  
ونحن لا نفهم، حين نمر عبر الفناء الممزق؛  
تطاردنا أصواتهم، حارة وقوية  
كأنها هبوب الغبار،  
تحفر آذاننا مثل نقار الخشب.

وأختنا الكبيرةُ فقدت نصفَ كنوزها  
حين اختفت وجوههم  
عبر أشجار شائكة  
وبلدان مرة الطعم.  
ورغم ذلك،  
لا شيء يحدث بعد النوم  
سوى الرجال السود  
الذين تركوا على واجهة منزلنا الريفيّ  
رسمًا لا يُمحي  
لجسد نحيف  
يرقص كنملة مرحة أحيانًا،  
ويُغني في الليل  
مثل ميت قديم .

()

## \_\_\_\_\_ الميراث

لماذا أيُّها الميت  
أعطيتني الأرملة الخؤون  
مرضعة الفواحش وراعية النزوات  
أعطيتني الشقيقة الخنساء  
مربية الثأر، النائحة في مضارب البدو.  
أعطيتني التوأم الذي خطفته تجارة الكتان وتمائيلُ  
البناتِ الثرثارات  
أعطيتني خزائن العثِّ وجرارَ العطن.  
أعطيتني الريحَ بلا أشجارٍ أو نوافذ  
والسماءَ بلا وطن.  
وذهبتَ مبكراً أيُّها الباسل  
غافلاً عن صرير الخيانات  
ورائحةِ الثعالب، وصمتِ النياشين

أعطيتني عائلةً من وحلٍ وقبيلةً من كرناف  
أعطيتني مسارِبَ السياطِ المسعورةِ فوقِ جلدي  
وتركتَ خياليَ الناظفَ وحيدًا يدمي

أعطيتني اللسانَ المعتقلَ بفصاحةِ العيِّ وتأتأةِ الغرقى  
كأنني من هدرِ اللحظةِ الفاسقةِ  
ونطفةِ الخلاعةِ، رهينةِ السرِّ .  
وأن فيضي هوسُ الصعاليكِ، ولوثهُ العيارينِ .  
أعطيتني اسمالَ العسسِ وأحذيةَ القتلةِ .  
ودشنتني المجازَ للمتاهاتِ  
أنا الناحلُّ من قسوةِ الخبزِ ولغةِ الزمهيرِ .  
أعطيتني كنيتهُ التي لا تزن رغيًّا  
وتركتَ ضجيجكَ يُثقلُ الأذنَ  
ويمزقُ الستائرَ .  
تركتَ كلابكَ النزقةِ  
تعبثُ بالكتبِ والشباشبِ والنجومِ  
وتمشطُ شعرَ الغواياتِ .

فكيف سانام  
وأنت لم تمنحني عشا آمنًا  
أو لحافًا أو حقيبة  
ولم يبق منك أيها الغابر  
الآن خلب الصخب  
وأصداء حروب العشائر.  
فها هي نجومك الجريحة  
ضالة بين القرى  
مثل ذنوب لا تُغتفر.

أعطيتني مناجم الجهل  
وأوصاف الخطيئة.  
أعطيتني زئير السبع  
وقامة الجندب  
أعطيتني نسب الشياطين  
وسلالة النار  
أعطيتني ضراوة البؤس  
وفخامة الأسي  
أعطيتني ثروة الجعل  
وميراث العقارب

وتركتَ السّماءَ قاحلة  
بلا عناوين واضحة ومنازل  
تركتَ الدروبَ في عيوننا المبللةِ بالهوان  
عمياءَ بلا ظلالٍ أو حدائقِ.  
فأين هم صحكُ  
الذين قاسمتهم الكأسَ والليلَ  
وأقمتَ الولايمَ والمسراتِ.

أعطيتني قرحةَ العمر  
وشيوخته المبكرة،  
أعطيتني ثراءَ الأسرى  
وأحلامَ المساجين  
أعطيتني وحشةَ الروح  
وفراغَ البدن

أعطيتني بلاغةَ العطش  
وإعجازَ المنافي  
أعطيتني مدافنَ التّوقِ  
وأكفانَ المباهجِ والمسراتِ.

أعطيتني مآثرَ الطحلب  
وعبقريّةَ العطب.  
فأين اختفى أشقاؤك الذين وهبتهم الأرضَ  
والفضةَ، ونحرتَ الذبائح  
أين هم السادةُ بعد موتك، الذين  
روّضتَ لهم الخيلَ وأطعمتَ الجراءَ  
وجلبتَ الكمأةَ وزيتَ الجبل.

أعطيتني اللعناتِ وقذائفَ البصاق  
أعطيتني يقينَ التشرّدِ وهياجَ الزّوابعِ،  
وورثني أطلالَ الخيبةِ وعتباتِ البكاء  
ورثني الخفّةَ التي أهملتها نباهةُ النمل  
وتركتني يتيمًا بين المخالب  
يتيمًا أهشُّ الذبابَ عن مخيلتي  
لا بيت لي أو طريق أو حبيبة  
شريدًا في كنف العراءِ  
ومشيئةَ الصدف.

أعطيتني القواقع الباردة  
والنساء الرماد  
وسلمتني لبراري العوسج  
ورحلة الحفاة؛  
لغة هامة تنهشها البراشن.  
وغمرتني برعبك أيها السخيُّ  
برعبك عقلت كائناتي  
وجعلتني وقودًا لحروبك  
وملاعب لعصيك الهائجة.

ذهبت يا سيدي  
ولم تترك لي اسمًا واحدًا أستغيثُ به  
أو كلمةً أتشبَّثُ بثيابها.  
هكذا قتلتني أيها الميت.

()

\* كتبت قصائد هذه المجموعة \_ 1999 - 2001

\* مجموعات شعرية صدرت للشاعر :

1. قيامة الرمل .
2. رجل بأسره يمشي وحيدا .
3. رحلة الشنفرى .
4. ديك الجن الطرابلسي .

الفهرس

- عناوين خجولة
- جنازة باذخة
- مشيئة الوعل
- رسائل لا تصل
- جزيرة ضائعة
- خطاب الأرض الوعرة

- مسافة العطر
- نام الشاعر هنا
- وصية
- ليلة القدر
- الرجال السود
- الميراث